تحذير المغرور من أضرار السير على غير نور

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعدُ:

أيها الناس: إن الله ﷻ خلق العباد ولم يخلقهم هملا، ولم يتركهم سدى، بل أبان لهم ما يتقون وأوضح لهم ما يحذرون، قال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ [سورة البقرة:٢٥٧].

فالله ﷻ جعل للمؤمنين ولاية منه يخرجهم بولايته ورحمته من كل ظلمة، فالظلمات كثيرة، والنور واحد، والأهواء كثيرة، والهدى واحد، والسبل كثيرة، والصراط المستقيم واحد، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [سورة الأنعام:١٥٣].

فهذا من فضل الله أن جعل الله ﷻ للعباد نورا، للمؤمنين نورا، نور الإيمان، من سار عليه في الدنيا، سار عليه في الآخرة في سائر مراحله، قال الله ﷻ: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢﴾ [سورة الحديد:١٢].

ففي ذلك اليوم سائر أهل الباطل في ظلمات، كما أنهم في الحياة الدنيا في ظلمات، لم يأخذوا النور لم يستضيئوا به، لم يستنيروا به، كذلك هناك في ظلمات، وقال عن المنافقين: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ أمامهم ويسعى أيضا بأيمانهم، ليس بعيدا عنهم: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ فنورهم بين أيديهم، وينابيهم المنافقون: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الحديد:١٤]. فلا يُقبسون من ذلك النور بشيء، ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ عازل ذلك السور عن أي نور تأتي إلى المنافقين ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [سورة الحديد:١٣].

كما تميزوا تمايزوا في الدنيا، فصار المنافقين إلى أضرابهم، وصار المؤمنون على التوحيد والنور، فالله يميز كل صنف على حدته يوم القيامة.

هكذا نور الدنيا والآخرة مقترن، كما قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ نصيبين، أجرين، ضعفين، ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الحديد:٢٨].

فالله قد وعد بوعده الحق، وعد أن من اتقى الله وآمن برسوله، أنه سيجعل له ذلك النور، ويضاعف له الأجور، هذه الآية جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في مؤمني أهل الكتاب تثبيتا لهم، دعوة لهم إلى الإيمان، والثبات على الإيمان، وأنهم سيؤتون أجرهم مرتين: بإيمانهم بنبيهم، وبمحمد ﷺ، كما في الصحيحين البخاري [٣٠١١] مسلم [٢٤١] عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **"ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ، وَاتَّبَعَهُ، وَصَدَّقَهُ، فَلَهُ أَجْرَانِ. وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى وَحَقَّ سَيِّدِهِ، فَلَهُ أَجْرَانِ. وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ، فَغَذَّاهَا فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا، ثُمَّ أَدَّبَهَا، فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا، وَتَزَوَّجَهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ"**. لفظ مسلم يؤتون أجرهم مرتين، والآية عامة في كل من آمن بالله ورسوله، آمن بالله واتقاه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ هذا هو النور الذي لا ينطفئ لا في الدنيا ولا في الآخرة، نور الإيمان، الذي يتولى الله ﷻ أصحابه ويخرجهم من كل

ظُلمة، من الظلمات إلى النور، من ظُلمة الأهواء، من ظُلمة الفتن، من ظُلمة الشرور، من ظُلمة المعاصي والأضرار به، من ظُلمة الشرك والكفر بالله ﷻ بشتى أنواعها، فما من ظُلمة تُحدق بك في الدنيا وأنت وليٌ لله، مؤمن بالله، متقي له، إلا وثق أنك خارج منها، ستخرج من تلك الظُلمات كلها، وأنت من الناجين، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [سورة الأعراف:١٩٦].

فهو يتولى عباده المؤمنين، ويُخرجهم، فلما قال أصحاب موسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ وفعلا ظُلمة، سيل عرمرم من الخلف من البشر، وبحر متلاطم من الأمام، قال موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ أي: لسنا مدركين، ولا مُحاط بنا، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة الشعراء:٦٣].

فتولى الله ﷻ موسى وعباده المؤمنين، وأغرق فرعون والمشركين الكافرين، فهو يتولى الصالحين، وقال الله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾﴾ [سورة محمد:١-٢].

ثم إبان التعليل، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾﴾ [سورة محمد: ٣]

فلما كانوا كذلك أولئك أصحاب ظلمات ذهبوا مع ظلمات، راحوا مع الظلمات، مع الباطل، وأطفئوا نور الله، وهؤلاء مع الحق، ومع النور، ساروا على النور في الدنيا وفي الآخرة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ - ما يخزيهم؛ لأنهم ساروا على نور في الدنيا - ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [سورة التحريم: ٨]

هؤلاء هم سائرون على نور في الدنيا فساروا على نور في الآخرة، ساروا على نور القرآن، القرآن نور؛ سر عليه وامضِ عليه تصل إلى جنات النعيم على نور، قال الله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الشورى:٥٢].

فأخبر الله ﷻ أنه نور، روح ونور، نور هداية، نور سلامة، نور بصيرة، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾ [سورة فاطر:١٩-٢١].

لا مساواة بين من هو في نور وبين من هو في ظلمة، الظلمات عمى، فيا أيها المسلم: حافظ على نور الله في قلبك، حافظ على الإيمان فإن أناسٌ استنارت قلوبهم بنور الله فأطفئوه فانطفأ نورهم في الآخرة، بل في الدنيا والآخرة، وصاروا في عمى، كما قال الله: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الإسراء:٧٢].

وضرب الله ﷻ بهم مثلا، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة البقرة:١٤-١٦].

ثم ضرب بهم مثلا بهؤلاء الذين أطفئوا نور الله وتركوا الإيمان، وتزحزحوا عنه ومضوا إلى الكفران وبقوا عليه حتى لقوا الله ﷻ، قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ - استفاد منها، واستضاء بها، رأى من حوله قال: - ﴿أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة البقرة ١٧ - ١٨]

مع الظلمة الذي هم فيها عندهم صمم وعندهم بكم، فلو كان مبصرا ما صار، فكيف إذا كان وهو في ظلمات بعضها فوق بعض، هكذا حال الناس في هذه الدنيا يسيرون في معاملاتهم، في عباداتهم، كثير منهم على هذا في عباداتهم، في حياتهم، في سياساتهم، في عديد من شئونهم على غير نور، على غير بصيرة، يسير بعمى، يسير بجهل، فالجهل عمى، فيا أيها المسلم لا تطفئ نور الله عنك، خذ بالقرآن وامض عليه، خذ بالسنة وسر عليها، فإنها نور، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [سورة النساء:١٧٤].

وقال: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۗ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [سورة المائدة:١٥].

وهكذا قال الله ﷻ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٥٧].

فهكذا أُنزل مع النبي ﷺ نور، نور القرآن ونور السنة، كلها مُنزل، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [سورة النساء:١١٣].

فهذا نور أنزله الله على العباد، ما يُفلح إلا من سار على هذا النور، وإلا هو في الجانب الآخر في الظلمات بعضها فوق بعض، ومن أين يلتمس النور ولم يجعل الله ﷻ نورا إلا في كتابه وسنة نبيه، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النور:٤٠].

فالله قد حصر نوره، في كتابه وسنة نبيه ﷺ، أرسل رسله بالنور قال تعالى:

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [سورة إبراهيم:١].

هذا الكتاب هو كتاب الله، شرع الله، أمر الله لنبيه، فجعل رسوله نورا وأرسله بالنور، قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الأحزاب:٤٥-٤٦].

معشر المسلمين: لا سبيل إلى حق ولا هداية، ولا بصيرة ولا رشد، ولا سعادة ولا فلاح إذا تُنكِبَ عن هذا النور، ليس ثَمَّ إلا ظلمات بعضها فوق بعض، كما هو واقع الكفار، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [سورة الأنعام:١٢٢].

أتريدون أن يُطفأ هذا النور حتى يصير الناس صما بكما عُميا.

كتاب ربنا وسنة نبينا، هي النور للأمة، نور كتاب ونور السنة، روى مسلم في صحيحه [٢٤٠٨ (٣٦)] عن زيد بن أرقم قال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: **"أَمَّا بَعْدُ ؛ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ ؛ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ"**، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ

وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: **"وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي"**. وجاءت رواية وسنتي.

هذا هو النور، إنّ بلاء الناس الآن ونكد الأمة، أينما تنكبوا عن هذا النور؛ حصل لهم من النكد بقدر بعدهم عن نور الكتاب ونور السنة، جنحوا إلى سياسات، جنحوا إلى أشياء لا تبت لهم في الدين بِصِلة، إنما هي أتباع الشهوات والرغبات والدنيا، بعيدين عن الاستنارة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

أنت لست كأولئك الذين ليس لهم هداية، تركوا الهداية وبقوا في عمى، أنت على شريعة من ربك، احمد الله على ذلك، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الجاثية:١٨-١٩].

العمى لا يُنتج إلا عمى، قال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الأعراف:٥٨].

أصحاب العمى عميان في الدنيا والآخرة، عرفوا أو جهلوا، الذي يسير في طريقته على غير رشدٍ، على غير كتاب، على غير سنة، هبه يُمتع، هبه يُمكن، هبه على أي حالة، والله عاقبته خُسرى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ بلا نور ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ﴾ ما استنار بها، أهمل الخير ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [سورة طه:١٢٤-١٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [سورة طه:١٢٧].

الخطبة الثانية:

الحمد لله، نحمده كثيرا، ونشكره كثيرا، ونُثني عليه كثيرا، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

أيها الناس:

إن أمر اهتمام الإنسان بسيره على نور في كل حياته، في كل شئونه، إن جانب النور في وضوئه ما صحت صلاته، ولا صح وضوؤه، إن جانب النور في صلاته ما صحت صلاته، (نور القرآن والسنة)، إن جانب النور في عقيدته فسد حاله ومات على الشرك وهلك، إن جانب النور في معاملاته ساءت أخلاقه، إن جانب النور في أوقاته ذهبت أوقاته، فما تنضبط حياتك إلا بالسير على نور الله، وإن أردتها أن تنضبط على غير ذلك صرت من الفاشلين ونسيت ربك وأنساك ربك نفسك، ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [سورة الحشر:١٩].

كما قال ﷻ، فعضوا على النور وقد كان رسول الله ﷺ من دعائه: "**اللهم اجعل في قلبي نورا، واجعل في لساني نورا**" انظر كيف يعدد النور على جوارحه، أنها كلها تسير على نور الله، على كتاب الله وسنة رسوله، مستنيرا بذلك، ولما سُئلت عائشة ﵂ ما خُلُق النبي ﷺ؟ قالت: خُلُقه القرآن.

كل حياته السائرة وأوقاته على نور الله، واجعل في سمعي نورا، واجعل بصري نورا، واجعل من فوقي نورا، واجعل من تحتي نورا، واجعل أمامي نورا، واجعل من خلفي نورا، اللهم اعطني نورا، اللهم اجعل لي نورا، وهكذا رسول الله ﷺ يلح على ربه أن يجعله في نور، وأن يحييه على النور في سائر حياته، وكل جوارحه تبقى مستنيرة بهدي الله، وهكذا إذا جاءك هم، أو جاءك حزن، فإنك تحتاج إلى أن تسأل الله أن ينور عليك، ثبت عن أبي موسى، وابن مسعود مما هو في الصحيحة أن النبي ﷺ قال: "**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ، وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ؛ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا**" أحمد [٣٧١٢].

والشاهد منه أن النبي ﷺ أرشد إلى هذا لإذهاب الحزن، ولإذهاب الهم أن تدعو الله أن يجعل القرآن ربيع قلبك ونور صدرك، فإذا كان القرآن نور صدرك، نور قلبك، ذهبت عنك

الشرور كلها بإذن الله، الهموم والغموم، قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٢﴾ [سورة الزمر:٢٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [سورة يونس:٥٧-٥٨].

وأصحاب النور يوم القيامة على مجالس من نور، منابر من نور، كما ثبت عن النبي ﷺ قال: "**قَالَ اللَّهُ ﷻ: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ**". الترمذي [٢٣٩٠] أهل النور حتى وجوههم نور، وكلهم في نور، هكذا حياة أهل النور الذين يعيشون عليه في الدنيا مع القرآن مع السنة في كل شئونهم، وسائر أوقاتهم وأعمالهم وبيوتهم ومظاهرهم ومخابرهم، هذا شأن من يعيش على ذلك، حتى في مشيته إلى الصلاة يجعل الله ﷻ له بذلك النور يوم القيامة كما في حديث بريدة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "**بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**". أبو داود[٥٦١]

وفي صلاته وعبادته كلها أنوار له، روى مسلم في صحيحه عن الحارث الأشعري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ، أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَالصَّلَاةُ نُورٌ**" من أداها وحافظ عليها نهته عن الفحشاء والمنكر ويبقى مستنيرا متبصرا، متبصرا في حياته، والصلاة نور الحديث... مسلم ٢٢٣ (١).

وقال النبي ﷺ: "**خمس صلوات من حافظ عليها كن له نورا يوم القيامة وبرهانا**"، ذكر الحديث... ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان، وحشر مع فرعون، وهامان، وقارون، وأُبي بن خلف، فهذه النور، أعمال النور، عقيدة النور، حياة النور، من سار عليها سار على نور في آخرته وفي قبره، وعلى الصراط، عند الميزان، وسائر الحالات، والله ما أكثر ما ترى التخبطات في هذه الدنيا، وكل ذلك لعدم الانضباط بالنور، وإلا قال تعالى: ﴿وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [سورة آل عمران:١٠١].

أسأل الله ﷻ أن يعصمنا من الفتن، ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، الحمد لله رب العالمين.

سجلت في يوم:

الجمعة ١٠ صفر ١٤٤٣ هجرية – مسجد السنة بقرية العمود بالجوبة، من بلاد مراد بمأرب حفظها الله.

فرغها / أبو المجد بن محمد